

أمه:- السيدة (شاه زنان) ابنة يزيد بن شهریار بن كسرى آخر ملوك الفرس، ويُذكر أن أمير المؤمنين (ع) أبدل اسم "شاه زنان" بـ "شهربانو" لئلا تُشارك السيدة الزهراء عليها السلام لقبها، لأن "شاه زنان" تعني بالعربية (سيدة النساء) وقيل اسمها مريم، وتوفيت أيام نفاسها، وولد الإمام سلام الله عليه في الخامس من شعبان سنة (٣٨هـ).

عاش سبعة وخمسين سنة تقريباً، قضى ما يقارب سنتين في كنف جده أمير المؤمنين (ع)، ثم ترعرع في مدرسة عمه الإمام الحسن المجتبي وأبيه سيد الشهداء عليهما السلام قرابة إثنان وعشرين عاماً، تسلم المرتبة الإلهية والإمامة المطلقة بعد استشهاد أبيه عليه السلام وحتى استشهاده سنة (٩٥هـ)، بفعل السم الذي دسه له الحاكم الأموي (الوليد بن عبد الملك) فكانت إمامته وزعامته حوالي (٣٤) سنة. ويمكننا أن نحدد ظواهر فذة في حياة الامام زين العابدين (ع) برزت وتوضحت كوضوح الشمس للأعين، وهي:-

١- ظاهرة العبادة حتى لُقِبَ بزین العابدين.

٢- ظاهرة الدعاء والمناجاة، والصحيفة السجادية ورسالة الحقوق خير شاهد لها.

٣- ظاهرة البُكاء حتى عدَّ أحد البكائين الخمسة.

٤- ظاهرة الإعتراف.

بدأ الإمام زين العابدين (ع) جهاده بعد استشهاد أبيه الحسين (ع) وهو في دور الأسر متحدياً طغاة عصره محرضاً المسلمين على القتل المجرمين وكاشفاً عن الأفتنة التي تقنعوا بها، وفاضحاً حكام بني أمية، ولم يقتصر الإمام (ع) على ذلك وإنما تمثلت نشاطاته متجهة لمعالجة أهم الأخطار التي واجهتها الأمة الإسلامية والتي تمثلت بخطرین كبيرین من جراء الفتوحات الإسلامية غير الصحيحة هما:

١- خطر المسخ الثقافي.

٢- خطر الإهتیار الأخلاقي.

فقام لمعالجة هذين الخطرين من خلال التأهيل العلمي والثقافي والتربية الاخلاقية عن طريق ربط الانسان بربه في عالم المادة من خلال الدعاء والتفاني في المعبود الحق. وكان على الامام (ع) ان يوجه انحراف الحكام بنحو لا تتضرر بذلك الدولة الاسلامية ككيان سياسي اسلامي. ولا يستغل الحكام ذلك لتثبيت حكمهم المنحرف.

ب- ثورة المدينة المنورة او (واقعة الحرة)

لم تكن الأوضاع في المدينة هادئة، فقد استُبدِل ثلاثة ولاة خلال عامين، فاستبدل يزيد والي المدينة (الوليد بن عتبة) بـ (عثمان بن محمد بن ابي سفيان)، فأراد عثمان ان يكسب رضا اهل المدينة فأرسل وقدماً من اهلها من أبناء المهاجرين والأنصار الى دمشق ليشاهدوا الخليفة الشاب وينالوا نصيبهم من هداياه إلا ان الوفد رأى في سلوك يزيد ما يشين، وعند رجوعهم اظهروا شتم يزيد وعيبه وقالوا: (قدمنا من عند رجل ليس له دين، يشرب الخمر، ويضرب بالطنابير، وتُعزف عنده القيان ويلعب بالكلاب ويسمر عنده الحراب - وهم اللصوص - وأنا نُشهدكم إنا قد خلعناه)، وقال عبد الله بن حنظلة الغسيل: (لو لم أجد إلا بني هؤلاء لجاهدته بهم، وقد اعطاني واكرمني وما قبلت عطاءه ألا لا تقوى به)، فخلعه الناس وبايعوا عبد الله وولوه عليهم فقام اهل المدينة بإخراج عامل يزيد عليها وحاصروا بني أمية واتباعهم حتى احتفى مروان بن الحكم عند الامام زين العابدين (ع) فاستجاب له الإمام تكريماً، ولما وصلت الأخبار ليزيد أمر (مسلم بن عقبة) على جيش جرار ليقضي على ثورة المدينة وزوده بتعلماته قائلاً: (ادعُ القوم ثلاثاً فإن أجابوك وإلا فقاتلهم فإذا ظهرت عليهم فأبجها - اي المدينة- ثلاثاً، فما فيها من مالٍ او دابة او سلاح او طعام فهو للجندي)، وأمره أن يُجهز على جريحهم ويقتل مدبرهم، وبعد قتال عنيف استشهد أغلب المدافعين ومهم ابن حنظلة الغسيل وجملة من اصحاب رسول الله (ص) ونفذ قائد الجيش الأموي أوامر يزيد وزاد عليها واستباح المدينة ثلاثة أيام.

يقول المؤرخ ابن كثير: (أباح مسلم بن عقبة - الذي يقول فيه السلف- "مُسرف بن عقبة" يحه الله من شيخ سوءٍ ما أجعله، المدينة ثلاثة أيام كما أمره يزيد - لا جزاه الله خيراً- وقتل خلقاً من أشرفها وقراءها ونهب أموالاً كثيرة منها).

ثم نُصب لمسلم بن عقبة كرسي وجيء بالأسرى من المدينة فكان يطلب من كل واحد منهم ان يبايع: (على انه مملوك ليزيد يتحكم فيّ وفي دمي وفي مالي وفي اهلي ما يشاء)، ومن امتنع كان مصيره القتل.

ورغم جبروته وظلمه لم يجسر مسلم بن عقبة على قتل الامام زين العابدين (ع) او إلحاق الأذى له رغم تنكره له، وأوصى بيده وتمييزه عن غيره، ويذكر ان الامام (ع) كفل في واقعة الحرة أربعمئة امرأة من عبد مناف وظل ينفق عليهن حتى خروج جيش مسلم من المدينة.

ومن العجيب ان مسلم بن عقبة قال بعد الواقعة الدامية: (اللهم اني لم أعمل عملاً قط بعد شهادة لا إله إلا الله وأنَّ محمداً عبده ورسوله أحب الي من قتل اهل المدينة، ولا أرجى عندي في الآخرة)، رغم انه قد تجاوز التسعين من عمره أي انه كان قريباً من حتفه، وقد هلك بُعيد واقعة الحرة وقبل ان يصل الى مكة لمحاربة عبد الله بن الزبير الذي تحصن بها وأعلن ثورته على الحكم الأموي.

ج- حصار مكة وضرب الكعبة

واصل الجيش الأموي مسيره نحو مكة ليكمل الجريمة الثانية النكراء، فقد تسلم الحُصين بن نُمير قيادة الجيش بعد وفاة مسلم بن عقبة بناءً على أوامر يزيد، وعندما وصل أطرافها فرض حصاراً عليها وبعد رفض خروج ابن الزبير منها ضرب الكعبة بالمنجنيق وأحرقها، ولم يستمر الهجوم والقصف طويلاً حتى وردت انباء بوفاة يزيد بن معاوية، فعقد الحُصين بن نُمير مع ابن الزبير مفاوضات أعرب له فيها عن استعداده لقبول بيعته شريطة ان يرافقه الى الشام إلا ان عبد الله بن الزبير رفض الشرط فعاد الحُصين وجيشه الى الشام.

وفاة يزيد

مات يزيد بن معاوية في ربيع الأول سنة (٦٤هـ) وهو في سن الثامنة والثلاثين من عمره في حوارين دمشق، واستمر حكمه ثلاث سنوات وبضعة أشهر ثم مَلَكَ من بعده ابنه معاوية الثاني بن يزيد بن معاوية.

المصدر: الشيخ محمد هادي اليوسف الغروي، موسوعة التاريخ الاسلامي.